القصص الديني

الحلقة الأولى

قصص الأنبياء

موسى والألواح

عبد الحميد جودة السحار

١٢

القصص الديني
الحلقة الأولى
قصص الأنبياء

موسى والألواح

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

نَجَّى اللَّه بنى إسرائيلَ على يَدَى مُوسَى ، وأخرَجَهُم من عَذابِ فرعَونَ لهم فى مِصْر ، وسار بهم موسى إلى صحراءِ طور سينا ، التى بها جبَلُ الطور الذى كلَّمَه اللَّه فيه أوَّل مرة ، وأمَرَه أن يذهَبَ إلى مصر ليُنقِذَ بنى إسرائيل ، ويُخرِجَهم منها .

وفى هذه الصحراء لم يكن يوجَدُ ماءٌ ولا نباتٌ ولا شجر ، ولا شىءٌ يأكُلُه أو يَشربَهُ بنو إسرائيل ، فأعطاهم اللَّه من عِندِه طعامًا آخرَ لذيذا ، مُكوَّنًا من طيورِ السَّمَّان والعسل . ينزِلُ عليهم ولا يعرِفون من أينَ يأتيهم ، وأمَرَ اللَّه موسى أن يَضربَ الصَّخرةَ بعصاه فتفجَّرَتْ فيها اثنتا عشرة عينًا من المياه العذبة . وكان بنو إسرائيل يتكونون من اثنَتى عشرة

أُسرة ، فَرَتَّب موسى لكلِّ أُسرةٍ عينًا من هذه العيونِ تشرَبُ منها .

ثم أمَرَهُ اللَّه أن يَصعَدَ وحده إلى الجبل ، ويأخذَ معه عشرةَ ألْواح ، ليكتبَ اللَّه له فيها وصايا تنفعهُ وتنفَعُ بنى إسرائيل ، وتُبيِّن لهم الحلال والحرام ، والنَّافِعَ والضار ، وأخبرَه أن هذا يحتاجُ إلى أربَعين ليلةً يكونُ فيها بعيدًا عن قومِه على قمَّةِ الجبل .

عند ذلك تجهَّزَ موسى لهذه الرحلة الطويلة ، وأخذ ألواحَه العَشَرة ، وزادَه لمدةِ أربعين ليلة ، وقال لأخيه هارون : ابق أنت هنا مع القوم ، ترشِدُهُم وتحافِظ عليهم حتى أعُود .

٢

لَمَّا صَعدَ موسى إلى الجبَل ، اشتاقَ أن يَرَى إلَهه الذى يكلِّمهُ ولا يراه . فقال : « ربِّ أَرِنى أَنظرْ إليك » .

قال : « لن ترانى » (فموسى إنسانٌ ، والإنسانُ لا يُمكِنُه أن يَرَى اللّه) « ولكن انظر إلى الجبل » ونظَرَ موسى إلى الجبل تحت قدميه ، فإذا بالجبلِ يهتزُّ ويرتجف ويتفتّت من نظرَة اللَّه إليه .

فصُعِقَ موسى ، وأُغمِيَ عليه ، وارتَمى على وجهه ، وبَقِيَ هكذا فترةً طويلة ، حتى ناداه اللّه . فسمع نداءَه ، وصحا ، فوَجَدَ الألواحَ مكتوبة ، وفيها أوامِرُ اللّه له ولِبَنى إسرائيل ، وإرشاداتٌ تُعَرِّفُهم كيف يُصَلُّون ، وكيف يُعامِلُ بعضُهم بعضا ، وكيف يُداوُونَ المَرضَى منهم ، وكيف يحاربون ... وكل ما يجب عليهم أن يَعرِفُوه ، فَأَخَذَ الألواحَ ونزلَ من الجبَلِ ذاهبا إلى بنى إسرائيل .

٣

وهناك وجدَهُم يعبُدُونَ عِجْلاً من الذّهبِ يُسمَعُ له صوتٌ عجيب !

غَضِبَ موسى غَضَبًا شديدا ، عندما راى قومه يعبُدونَ العِجْل ، بعدَ ما أرسَلَه اللّه لإنقاذِهم من فِرْعَون ، وأرْسَلَ لهم طيورَ السَّمَّان والعسلَ المُصفَّى ليأكُلُوا منها فى الصَّحْراء ، ثم كتب لهم هذه الألواحَ التى فى يدِه ليُرشِدَهم ويُعَلِّمَهُم .

ألْقَى موسى الألواحَ من يدِه ، وأمسَكَ بخناقِ أخيه هرون ، وجذبَ شَعْرَه ، وشَدَّ لِحْيَتَه ، وهو يقولُ له : كيف تركتَ قومَنا يعبُدونَ هذا العِجْل ، وأنت تعرِفُ أنّ لهم إلهًا فى السماء ، هو الذى أرسلَنا إلى فِرعَون .

قال هَرون : « يا بنَ أم ، لا تأخُذْ بِلِحْيَتى ولا

برأسي » فقد خِفْتُ أن أقولَ لهم : لا تعبُدوا هذا العِجْل ، فيُطِيعُنى بعضُهم ، ويعصينى بعضُهم ، ثم يتعارَكُ هؤلاءِ وهؤلاء ، ويصبحُ بعضُهم لبعضٍ أعداءً ، فتلومُنى على هذا عندما تعود .

قال موسى : ومن أين جاءُوا بهذا العِجْل ، ومَن الذى صَنَعَه لهم ؟

قال هَرون : صنعه لهم رجُلٌ يقال له : « السَّامِرِىّ ! » .

فاستدعاهُ موسى ، وسأله : كيفَ صَنعتَ هذا العِجل ؟

قال السَّامِرِى : وجدتُ مع القَومِ حُلِيًّا كثيرةً من الذهب ، وصَهَرْتُه ، وصَنَعْتُ منه هذا العِجل .

قال موسى : ولكن هذا العِجل له خُوارٌ كأنّه عجلٌ حىّ ، فكيفَ جَعَلْتَ له هذا الصوت ؟

قال السامرىّ : لقد نزلَ جبريلُ من السماء ، وكان يمشى على الأَرض فى هيئة إنسان ، وقد

عرفتُ أنا أنَّ هذا جبريل ، فأخَذْتُ قَبضَةً من التُرابِ الذى سارَ عليه ، وألْقَيتُها على هذا العِجل ، فصارَ يقدِرُ على إخراجِ هذا الصَّوت الذى يُشبه خوارَ الثّيران الحيَّةِ الحقيقية . فلمَّا سمِعَه القَومُ قالوا : هذا إلَه . وسَجدُوا له وعَبَدُوه .

قال له موسى : إنَّ الله سيُعَذِّبُك عَذابًا شديدا لأنك صَنَعْتَ هذا العِجْلَ بهذا الشكل ، حتى إنَّ هَؤلاءِ الجُهلاءَ اعتَقَدُوا أنَّه إله .

٤

وعندما هَدَأَ موسى ، وذهبَ عنه الغضب ، تناول الألواح ، وأخذ يقرؤها على بنى إسرائيل ، ويُعلِّمهم ما فيها ، وينظِّم معيشَتَهم كما أمرهُ اللّه فى هذه الألواح ، ثم سافروا حتى قَرُبُوا من فِلَسْطين فقسَّمَهم فِرَقًا لِيَتعلَّموا الحربَ والقتال ، ذلك أنهم

كانوا ذاهبين إلى أرض فِلَسطين ليحاربوا أهلَها ، وكانوا فى هذا الوقت كُفَّارًا يعبدون الأَصنامَ ، وقد قال اللّه لموسى : إنّه يجبُ أن تحاربوا هؤلاءِ الكفار ، وتأخُذوا هذه الأَرض وتسكنوا فيها .

فلمَّا أخبَرَهم موسَى بذلك قالوا : وهل أخرجتَنا من مصر التى فيها جميعُ الخيراتِ ، لتأْتى بنا إلى هذِه الصحراء ، ثم تقول لنا حارِبوا أهلَ فِلسطِين . لا لا . ارجع بنا إلى مصر ، فإننا نريد أن نكون عبيدًا لفِرعَون ، ولا نحبُّ أن نُحارِب ونموت !

وكانوا فى هذا الوقتِ جالسين تحت صخرة عظيمة ، فنظروا فرأَوا هذه الصخرة قد ارتفعت فى الجو ، ووقفت فوقَ رءُوسهم ، فخافوا أن تَقَعَ عليهم فتُهلِكَهم جميعا ، فصرخوا وبكَوا وولولوا . وقالوا أنقِذْنا يا موسى . ادع ربَّكَ أن يُنقِذنا ، ولك علي

عهد أن نذهبَ ونحاربَ أهلَ فِلسطين كما تأمُرُنا .

عند ذلك دعا موسى ربَّه ألَا تسقُط هذه الصَّخرة على قومِه ، فاستجابَ اللّه دعاءَه ، وثبَّتَ الصَّخرةَ فى الجوِّ فى مكانها ، وبَقِيَت مُعلَّقة ، لا تنزلُ الأَرض ، ولا تسقُطُ على بنى إسرائيل .

٥

ولكن بنى إسرائيل بمجرّد أن اطمأنُّوا وبَعُدُوا عن الصَّخرة ، عادوا لا يسمعُونَ كلامَ موسى ، ولا نصائِحَه لهم ، وخالَفوا أوامِرَ اللّه المكتوبةَ فى الأَلواح ، والنظام الذى أمَرهم به فى حياتهم .

وفى يومٍ وُجِدَ أحدُهم مقتولا ، فجاءُوا به إلى موسى ، فقال لبنى إسرائيل : مَن منكم قتلَ هذا الرجل؟

وكانوا يعرِفونَ أنَّ اللّه كتب لموسى فى الأَلواح : أنَّ مَن يقتلُ إنسانًا بغير ذنبٍ فلا بد أن يُقتَلَ مثلَه ،

ومَن قَلَعَ عينا ، أو كسرَ سِنًّا ، أو خَلَعَ أذنًا ، أو قَطَعَ أنْفًا .. لأَىِّ إنسان ، أو جرحَه أىَّ جُرح فى جسمه ، فلا بدَّ أن ينالَ جزاءَه مثلَما صَنَع .

لذلك لم يقِرَّ أحد أنه قتلَ ذلك الرجل .

فدعا موسى ربَّه أن يُعَرِّفَه من هو القاتِل . فقال له اللّه : اذبَحُوا بقرةً واضرِبُوا هذا الميِّتَ بِجلْدِها ، فإنَّه عندئذ يُخْبِركم هو نفسه من الذى قتله .

« قال موسى لقومِه : إنَّ اللّه يأمُرُكم أنْ تذبحوا بقرة » .

« قالوا : أتتَّخِذُنا هُزوًا » يعنى هل تسخر منا يا موسى ؟

قال : « أعوذُ باللّه أن أكونَ من الجاهِلين » .

عندئذ أرادُوا أن يُماطِلُوا فى المسألة :

« قالوا : ادعُ لنا ربَّكَ يُبيِّن لنا ما هىَ » .

قال : إنه يقول إنها بقرةٌ متوسِّطةُ السِّن ، لا هى عجوزٌ ولا هى صغيرة .

قالوا : « ادعُ لنا ربَّك يبينْ لنا ما لونُها » .

قال : « إنه يقول إنها بقرة صفراءُ فاقعٌ لونها تسرُّ الناظرين » .

قالوا : « ادعُ لنا ربَّك يُبيِّن لنا ما هيَ ، إنَّ البقَر تشابَهُ علينا ، وإنّا إن شاءَ اللّه لمهتَدُون .

قال : إنه يقولُ إنها بقرةٌ لا تجرُّ المحراث ولا تديرُ الساقية .

وعندَ ذلك فقط رضَوا أن يذبحوا هذه البقرة ، فذبحوها ، وأخذ موسى جلْدَها وضرب به القتيلَ ، فنطقَ ودلَّ على من قَتلَه . فأخذَه موسى وقتله .

٦

وعادَ بنو إسرائيل يقولون لموسى : لقد أخرَجْتنا من مصرَ الجميلةِ ذاتِ الظِّلالِ والأنهار ، وجئت بنا إلى هذه الصحراء ، والشمس تُحرقُنا فيها . فدعا موسى ربَّه فأرسَلَ السَّحابَ ، يُظَلِّلُ بنى إسرائيلَ ويحميهم من الشمس .

ولكنهم عادوا يقولون لموسى : لقد أخرَجتنا من مصرَ وفيها كلُّ الثمراتِ والخيرات والأَطعمة ، وجئْتَ بنا إلى هذه الصحراءِ التى لا نجدُ فيها شيئًا مما تعوّدنا أكلَه من الفُولِ والعدَسِ والثّومِ والبصل .

فسأل موسى ربَّه فى ذلك ، فقال له : قل لهم إن كانوا يُريدون هذه الأَشياءَ فليرجِعوا إلى مصر ، ففيها كل ما يطلبون .

فلما قال لهم موسى ذلك قالوا : وهل نستطيع الآن أن نَرجِعَ إلى مصرَ بعدَ أن أخرَجتَنا منها ، إننا لو رجعنا إليها لذبحونا ذبحا .

٧

وفي يومٍ من الأيام جمَعَهم موسى جميعا ، وقال لهم :

ـ إنَّ اللّه ربَّكم يأمُرُكم أن تدخلوا أرضَ فلسطين ، وأن تحاربوا أهلها الكفّارَ وتسكنوا فيها .

عندَ ذلك خافوا وارتعشوا ، ولم يرضَوْا أبدا .

« قالوا : يا موسى إنَّ فيها قومًا جبّارين ، وإنّا لن نَدخُلَها حتى يخرجوا منها . فإن يخرُجُوا منها فإنّا داخِلون » .

قال لهم موسى : يا قوم اذكروا نِعمةَ اللّه عليكم إذ أنجاكم من آلِ فِرعَونَ يَسُومُونكم سوءَ العذاب ،

يُذبِّحونَ أبناءَكم ، ويستَحْيُونَ نساءَكم . يا قَوم اذكروا نعمَةَ اللّه عليكم حينَ فَرَقَ بكم البحرَ وأنجاكم ، وأغْرَقَ فِرْعَوْنَ وأهْلَه وأنتم تنظرون . يا قوم اذكروا نعمةَ اللّه عليكم إذ عَبَدتُم العِجلَ بعدَ ذلك ، ثمَّ غَفَرَ اللّه لكم وسامَحكم ، يا قوم اذكروا نِعمَةَ اللّه عليكم إذ أعطاكم المَنَّ والسلْوى تأكلونَ منها ، وفجَّرَ لكم الماءَ عُيونًا من الصَّخرةِ لتشرَبُوا في الصحراءِ ، وجَعَلَ الغَمامَ فوقَ رُءُوسِكم ليحمِيَكم من الشمس . يا قوم اسمعُوا وأطيعوا وادخلوا الأَرضَ المقدَّسةَ ولا تَخافوا .

قالوا : يا موسى أتُريدُ أن تُهلِكَنا وتَقتُلَنا ؟ إننا نعرفُ أهلَ فِلسطين ، ونعرفُ أنهم أقوياءُ الأجسام قساةُ القلوب ، لا نستطيعُ أبدًا أن نُحارِبهم . وإذا كنت قويًّا كما تقول ، أو كان ربُّكَ قويًّا ، فلماذا لا

تذهبان أنت وهو فتحاربان هؤلاءِ الجبارين ؟ قل لربِّك يُهلِكْهم جميعا ، فندخُلَ ونحنُ آمِنون !

وكان هناك رجلان مؤمنانِ من قوم موسى ، فقالا للقوم : « ادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه ، فإنكم غالبون » .

« قالوا : يا موسى إنَّا لن ندخُلَها أبدا ما داموا فيها ، فاذهب أنتَ وربُّكَ فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » .

عند ذلك حزِنَ موسى حُزْنًا شديدا ، وعرَفَ أن كلَّ تَعَبِه معَ هؤلاءِ القوم قدْ ضاع ، وأنه لا فائدةَ منهم ، ولا يمكن أن يكونوا شُجْعانًا ولا مُحارِبين ، وأنهم لا يُريدونَ إلا الطَّعامَ والشرابَ وهم مُستريحون ، فتوجَّه إلى اللّه سبحانه وتعالى يَشكو ويتألَّم :

« قال ربِّ إنِّى لا أمْلِكُ إلاَّ نفسى وأخى . فافرُقْ بينَنا وبينَ القَومِ الفاسِقين » .

قال : « فإنَّها مُحرَّمةٌ عليهم أربَعينَ سنة يَتيهون فى الأَرض ، فلا تأْسَ (أى لا تحزَن) على القومِ الفاسقين » .

٨

عندَ ذلكَ هَبَّتْ رياحٌ شديدة ، مملوءَةٌ بترابِ الصحراء ، فَقَلَعَت الخيامَ التى يسكنُ فيها بنو إسرائيل وطَيَّرتْها بعيدًا ، وحَطَّمَتْ قدُورَهم وأمتِعَتَهم ، وأشعَلَت الحرائِق فى أشيائِهم ، فخرجُوا هاربينَ فى الصحراء ، وفى ذلكَ الوقتِ بَرَقَ البَرقُ ورَعَدَ الرَّعدُ ، ونزلَتِ الأمطارُ ، وأظلَمَتِ الدنيا ، فلم يَعُدْ أحَدٌ منهم يَرى أحَدا .

فخافُوا وفزِعُوا ، وراحَ كلٌّ منهم يجرى هنا وهناك ، والصَّواعِقُ تنزِلُ عليهم من السَّماء ، فتُحرِقُ بَعضَهم ، والبعضُ الآخَرُ يجرى ويصرُخ .

وهكذا استمرّت هـذه العواصِفُ عـدّةَ أيـام حتـى تفرّقُوا فـى الصحـراء الواسـعة ، ولم يَعُـد أحـدٌ منهـم يلقى أحدا ، وتاهُوا فى الرِّمالِ لا يعرِفُونَ الشّرقَ مـن الغَربِ ، ولا الشمال من الجنـوب ، عقابًـا لهـم على الكُفرِ بنعمةِ اللّه ، والسُّخريةِ من قُدْرةِ اللّه .